



الحرب قلبت حياتهم رأساً على عقب؛ إذ بدأت رحلة النزوح من منزلهم الذي نشأوا فيه، لتنتهي بإصابة سماح وإعاقتها...

"بعد والدي وأخي عتأ صعب للغاية ويؤثر جداً على نفسي، اشتقت إليهما كثيراً، أحتاج وجودهما إلى جانبي، أريد أن أبكي في حضن والدي، أن أشعر ولو بالقليل من دفء وحنان الأب الذي افتقدته طوال هذه الفترة وسط هذا الألم وهذه المعاناة الثقيلة."

فتاة عالقة في دائرة من الوجد...!

شاء القدر أن تتعرض الفتاة سماح من سكان مدينة بيت لاهيا شمال قطاع غزة للألم ومعاناة منذ صغرها. فمع أنها لا تزال في السابعة عشرة من عمرها وتحلم بأيام جميلة ومستقبل واعد، إلا أن الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة فاقت قدرتها على التحمل، وظلمت حياتها بشك كل كبير، خاصة بعد أن فقدت القدرة على استخدام يديها بشكل طبيعي إثر إصابة تعرضت لها بعد ستة أيام فقط من اندلاع الحرب.

كانت سماح تعيش مع أسرتها المكونة من والديها وخمس بنات وولدين حياة مسـتقرة وأمنة، لا يشغلهم سوى دراستهم وكتبهم المدرسية. لكن الحرب قلبت حياتهم رأساً على عقب؛ إذ بدأت رحلة النزوح من منزلهم الذي نشأوا وترعرعوا فيه، لتنتهي بإصابة سماح وإعاقتها.

نزحت عائلة سماح في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023 من منزلها، بعد أن أصدر جيش الاحتلال الإسرائيلي خريطة إخلاء للمنطقة باعتبارها "منطقة قتال خطيرة" يجب مغادرتها فوراً. هربت العائلة إلى جمع ما تستطيع من حاجيات أساسية وتجهيز حقائب الطوارئ، وغادرت منزلها ومدينتها دون أن تدري إلى أين ستكون الوجهة أو الملجأ. كان كل ما يشغلها آنذاك هو النجاة بأرواحها فقط.

نزحت سماح مع عائلتها إلى بيت جدها في حي الشيخ رضوان شمال غرب مدينة غزة، لكن بسبب تهديد أحد المنازل المجاورة بالقصف، اضطرت العائلة إلى قضاء الليل في منزل أحد الأقارب القريب، ثم العودة نهاراً إلى بيت الجد. واستمر هذا المشـهد لمدة أسبوع كامل، قبل أن تقرر العائلة الاستقرار في منزل الجد والمبيت فيه، بعد أن لم يُنفذ القصف على المنزل المهدد.

تروي سماح: "في السادسة والنصف من صباح الثالث عشر من أكتوبر/تشرين الأول 2023، وبعد أسبوع واحد فقط على بدء الإبادة الجماعية على قطاع غزة، استيقظت لأجد أخي الصغير، البالغ من العمر خمسة أشهر، يتألم بينما كانت أمي تحاول تهدئته بمشروب الميرمية الدافئ. عدت إلى النوم مجدداً، لكن لم تمض دقائق حتى أفقت على ثقل هائل سقط فوقي دفعة واحدة، شعرت حينها وكأنني هويت في حفرة عميقة ولم أعد أستطيع التنفس".

تضيف سماح: "في البداية كنت واعية وأدركت أننا تعرضنا للقصف، لكنني اعتقدت أن بيتنا هو المستهدف وليس منزل جارتنا. بعدها فقط استوعبت أنني تحت الأنقاض، ولا يظهر من جسدي سوى كف يدي اليمنى ورأسي، بينما كان شيء ثقيل يضغط على صدري ويمعني من التنفس. حاولت دفعه عني، لكن ثقله كان أقوى من قدرتي، قبل أن أمقد الوعي تماماً".

استفاقت سماح لتجد نفسها على سرير المستشفى، تائهة لا تدري مصير عائلتها: هل مازالوا أحياء أم فارقوا الحياة؟ هل أصيبوا أم بقوا بخير؟ أسئلة كثيرة بلا إجابات. كل ما علمته حينها أن إصابتها كانت في يدها اليسرى التي ثبتت فيها البلاتين. لكن وقع الخبر كان أمسـى عندما عرفت أن شقيقها الرضيع قد استشهد، فيما أصيب شقيقها الأكبر بجروح بالغة اضطرت والدها إلى مرافقته في رحلة علاج خارج القطاع.

حتى اليوم، مازالت سماح تعاني من ألم شديدة في يدها، التي لا تزال تؤلمها بشـدة وتحتوي على غرز، إلى جانب جروح أخرى في يدها اليمنى ورأسها، فضلاً عن إصابات وجروح متفرقة في مختلف أنحاء جسدها.

تضيف سماح: "لقد تركت تلك الحادثة أثراً بالغا على حالتي النفسية؛ إذ أصبحت الفوبيا ترافقني في كل تفاصيل حياتي. صرت أخاف من أبسط الأمور ومن أي صوت مرتفع. وعندما أسمع دوي صاروخ يتناثري رعب شديد، وكأن القصف موجه نحونا مباشرة. أكثر ما يؤلمني هو خوفاي الدائم من فقدان أحد أفراد عائلتي".

لم يقتصر أثر الحادثة على خوف سماح من القصف، بل كان غياب والدها أشد وطأة عليها وعلى أخواتها، فقد كان عماد البيت وسنده، وافتقدته العائلة بشـدة، خاصة في لحظات النزوح المتكرر حين وجدن أنفسهن بمفردهن كفتيات بلا معين أو سند، يواجهن قسوة الطريق ومشاق الحياة دون وجود رجل يساندنهن أو يخفف عنهن.

تقول سماح: "بعد والدي وأخي عتأ صعب للغاية ويؤثر جداً على نفسي، اشتقت إليهما كثيراً، أحتاج وجودهما إلى جانبي، أريد أن أبكي في حضن والدي، أن أشعر ولو بالقليل من دفء وحنان الأب الذي افتقدته طوال هذه الفترة وسط هذا الألم وهذه المعاناة الثقيلة".

تضيف: "نزوحنا الأخير إلى دير البلح وسط قطاع غزة في ديسمبر 2023، كان الأصعب، لأننا لم يكن لدينا مكان نلجأ إليه، حاولنا كثيراً إيجاد مكان للإيواء، ولكن لم نجد سوى منزل جدي المقصوف شرق رمزون دير البلح، حيث قمنا بتفطيطه بخيمة مهترئة وجدناها بصـعوبة بالغة، حيث كان مكاناً خطيراً، فكانت الخيمة بالكاد تقي حر الصيف ولا تصد برد الليل، لكن كنا نحاول أن نتألم مع واقع قاس لم نختره، واقع يسرق منا الراحة والطمأنينة يوماً بعد يوم".

"ولم تهدأ الأحوال حينها، ففي الثالث والعشرين من أغسطس 2024 اضطرت عائلة سماح إلى النزوح من منزل جدها المقصوف، واستقرت في خيمة قرب مستشفى شهداء الأقصى بعد أن أصدر الاحتلال أوامر بالإخلاء. أقامت العائلة في الخيمة نحو ستة أشهر، قبل أن تعود إلى منزل جدها بعد انسحاب القوات من المنطقة، إلا أن الخطر لم يلبث أن عاد بعد أربعة أشهر، فاضطرت العائلة للعودة إلى خيمتها قرب المستشفى مجدداً".

كانت يدا سماح بحاجة ماسة إلى جلسات علاج طبيعي، فقضت خمسة أشهر كاملة تنتقل على أمل الاستعادة بعض من صحتها، لكن دون جدوى. أخبرها الأطباء أنها بحاجة إلى عملية جراحية لتعود إلى سابق حالها، إلا أن كل ما تحملته من ألم وخوف وانتظار لم يُثمر عن أي تحسـن، بعد العملية، أخبرها الأطباء مرة أخرى بأنها بحاجة إلى علاج طبيعي، وكأنها علقت في دائرة لا تنتهي من الألم والمعاناة.

وكان مركز العلاج الطبيعي بعيداً عن مكان نزوح سماح، والمسافة طويلة ومرهقة، دون أي وسائل نقل تسهّل عليها الوصول. حيث كانت تضطر للذهاب يومياً، متحملة تعباً لا يوصف ومشقة السير تحت أشعة الشمس الحارقة. تقول سماح: "جسدي مُنهك ويدي تؤلمني، لكنني كنت أحاول الصبر. في النهاية، لم أستطع مواصلة هذه المعاناة، لا سيما أنني لم أجد أي فائدة حقيقية من الجلسات، فتوقفت عن الذهاب ومع ذلك، لم يتوقف الألم، فما زالت يدي تؤلمني كثيراً، حتى عند حمل أبسط الأشياء".

ولم تؤثر الحرب على صحتها فقط، فسـمماح كغيرها من أبناء جيلها، عانت من انقطاعها عن التعليم والمدارس ومن عدم قدرتها على مواكبة دروسها التعليمية بسبب إصابتها، فهي أقصى أمنياتها أن تكمل تعليمها ودراستها وتفرح بنجاحها في الثانوية العامة..

تستطرد بألم وحنن: "أشعر وكأن الدنيا بأكملها تثقل فوق كتفي، وفي داخلي شعور مرير بالعجز؛ فأنا في عمر الزهور، يفترض أن تكون يداي مصدر قوة لي، وستداً المستقبلي، لكنهما الآن عنوان لجرحي ومعاناتي".